عنف الصورة السينمائية في الفضائيات

د. عبد الباسط سلمان

الفصل الاول

العنف في الفضائيات

المقدمة:

تتزايد يوم بعد يوم العديد من الأشكال والإشارات التي تنوه عن التوجهات والأفكار ذات الافتراضات الجديدة، والتي تندرج بالعادة ضمن الشكل العام المتخفي باحشاء الكثير من المشاهد والمواقف الدرامية في الأعمال التلفزيونية والسينمائية دون ان يشعر المتلقي من ان هذه الاشارات والتوجهات مقصودة او غير بريئة، فهي تبدو للمتلقي انموذج للسلوك او للتقاليد المتوراثة من الأوربي أو الأمريكي المتطور، فيسعى المتلقي الى محاكاة او تقليد تلك السلوكيات والتصرفات التي تبدر من ذلك الأنموذج، والواقع ان تلك المظاهر او الإشارات او السلوكيات هي ليس من واقع المجتمع الأوربي أو الغربي بشكل مباشر، بل هي من صنع أناس محترفين في صنعة الحقيقة الافتراضية (Virtual Reality) التي تخلق وهم كبير أمام المتلقين وتقنعهم بالوهم على انه حقيقة، ومن بين أهم الافتراضات التي تتعمد تلك الجهات في افتراضها أمام المتلقين افتراض العنف الذي اصبح فيما بعد حقيقة وتطور الى حدود بعيدة، ليصبح في تصنيف دولي او عالمي ضمن ثقافة العنف، وقد جاء هذا الافتراض من خلال زج العديد من الإشارات والرموز والإيحاءات التي تشكل بالنتيجة افتراض متكامل يرغب المتلقي بالتعامل أو الاندماج معه، لذلك هناك الكثير من المظاهر المبهرة ماهي تستقطب المتلقين وتثير فيهم روح المتابعة والمثابرة نحو المعرفة والمحاكاة لكل ما يفرز إزاء التوجهات التي تبدو مرغوبة، أي ان هنالك العديد من المظاهر التي تتفشى في المجتمعات من خلال الرغبة المتولدة عند المتلقي كان تكون على شكل معرفة معلوماتية او على شكل تقليد حضاري او ان تكون ضمن سياق قيّم وذو أهمية في المجتمع، فتبزغ إزاء ذلك كم هائل من المفاهيم والتقاليد والسلوكيات وتتفشى في المجتمع دون

أي تاكيد او تركيز نحو السلبيات التي يمكن تخلّفها، حتى تظهر كم من المعلومات والمعرفة على شكل جذاب ومن ثم تتسرب فيه العديد من تلك المظاهر والسلوكيات التي تخلّف الجوانب التأثيرية في المجتمع، وتنبلج جملة من الاشكاليات والمصائب في المجتمع لتتحقق الأهداف التي يرسمها المخططون نحو المظاهر والسلوكيات في المجتمع، ومن هنا يقول الدكتور نبيل علي في كتابه تحديات عصر المعلومات[١] (يمارس العنف المعلوماتي من خلال ما يمكن ان نطلق عليه بالقوى الرمزية التي تختلف عن القوى التقليدية، فهي تعمل بالجذب لا بالضغط، وبالترهيب لا بالترغيب).

لا تزال الكثير من القنوات التلفزيونية تصر على استقطاب المشاهد من خلال التنويع والإبهار والحركة غير التقليدية في البرامج أو الأعمال التي تقوم ببثها عبر الشاشات التلفزيونية، و قد كان للأعمال السينمائية حيز كبير في مساحة البث الفضائي لأغلب القنوات الفضائية، بحكم ان الأفلام السينمائية تتضمن في اغلب الأحيان مشاهد عديدة للإثارة والحركة والإبهار وتتضمن أيضا المشاهد المتنوعة والمتعددة من حيث النوع والكم، والأفلام السينمائية في نفس الوقت تستغرق من الوقت زهاء الساعتين او اكثر لتغطي في النتيجة مساحة كبيرة من البث، وهذا الامر يساعد اغلب القنوات على الاطمئنان والاسترخاء من حيث تغطية ساعات البث، لذلك تعكّزت العديد من القنوات الفضائية على جملة من الأفلام السينمائية، الأمر الذي أدى أن تكون تلك القنوات محط عرض لآخر الأعمال السينمائية، حتى بدأت اغلب القنوات تتبارى وتتفاخر بالأعمال الجديدة من خلال عرض احدث الأعمال السينمائية وبشكل يومي، ويقول مصطفى محرم في كتابه السينما والفنون (انه لا يمر يوم في حياتنا الحالية دون ان يشاهد المرء منا فيلما سينمائيا او حتى يجلس أمام التلفزيون) [٢] فهناك العديد من القنوات الفضائية نرى أنها تبث المزيد من الأفلام السينمائية وبشكل يومي وهي تستخدم المقدمات السينمائية (Trailer) (إشارة الفيلم، فيلم قصير لا يستغرق عرضه اكثر من ثلاث دقائق، يعرض للدعاية والإشارة الى

الفيلم وهو يستخدم للإعلان عن الفيلم القادم مستعينة بأهم مشاهد الإثارة والإبهار في الفيلم الذي تستعرضه)[٣] مفترضة ان تلك المشاهد المثيرة والمبهرة للفلم عوامل اساس في استقطاب المتلقي.

التأمل في تلك التقديمات للاعمال التي سيتم عرضها من على القنوات الفضائية يقود الى حقيقة مفادها ان المشاهد المثيرة والمشاهد التي تحمل تشويق او ابهار كثيرا ما يبحث عنها المتلقي، لذالك نرى ان هذا النوع من المشاهد باتت تتزايد وتتضح بل وتتفاقم يوم بعد يوم في اغلب المشاهد السينمائية، حيث بدأت الكثير من الجهات الإنتاجية العالمية الولوج لعالم الإثارة والإبهار من خلال الإكثار والمبالغة في خلق مشاهد المطاردة والعنف في الفيلم السينمائي، فقد تجاهلت الكثير من المؤسسات الإنتاجية المشاهد التي تحمل النمطية او الرتابة كالحورات الطويلة او المشاهد الساكنة والهادئة واستبدلتها بمشاهد معارك وعنف ومطاردة وذلك لتامين تدفق التشويق أو الاستقطاب لدى المتلقي، وهو ما جعل الأعمال تبتعد كل الابتعاد عن القيم التربوية والمبادئ السامية لتستبدل بالعنف والقوة وسفك الدماء، حتى اصبح المتلقي يمل من أي مشهد خالي من العنف او الحرة والمطاردة، حيث أفادت العديد من الدراسات المتخصصة بأن المتلقي غالباً ما يتأثر بالحركة غير المنمطة أو التقليدية ودائما يبحث عن الاثارة والحركة والاشكال الغريبة او الجديدة.

مشكلة البحث:

تفشي حالة العنف في المجتمع تعني العودة للعصور الغابرة، عصور الجهل، عصور الانسان القديم الذي لايدرك السلام ولايفهم غير الاستحواذ على ما تحتاجه الغرائز، بمعنى اخر العود للتخلف والرجعية، وبحكم الوسائل الاتصالية تدفقت المزيد من الاستعراضات التلفزيونية والصرات التلفزيونية التي تشجع وتقود نحو الامعان في استخدام الحركات والعادات التي تنتمي الى تصنيفات العنف، وهي

بالنتيجة دعوة للعنف ولكن بصورة ضمن نمط غير مألوف ، فهناك المزيد من المؤشرات تؤكد ان البث الفضائي المستعين بالإنتاج السينمائي يمهد للعنف باشكال متعددة، وهذا التمهيد بالواقع له سلبيات عديدة على السلوكيات البشرية بحكم ان العنف يولد مزيد من العنف، لذا اعتمد الباحث السؤال الاتي مشكلة للبحث وهو لماذا العنف في الأعمال الدرامية؟.

أهمية البحث والحاجة إليه

يسلط هذا البحث الضوء على الأسباب او الدوافع التي تقف وراء المظاهر او الرموز او الإشارات التي تشكل افتراض للعنف في الأعمال الدرامية من على شاشة التلفزيون أو القنوات الفضائية، ولتحقيق ذلك سيكون هذا البحث محط كشف عن الأهداف والأسباب التي تقود المخططون او المنتفعين من ذلك في ان يرسمون هذه المظاهر والسلوكيات، وايضا سيستعرض هذا البحث الدوافع او الكوامن التي تختبئ وراء هذه التصرفات او التدابير، ليقدم البحث فائدة للذين يتمتعون بصلاحيات النشر او الانتاج الاعلامي، وذلك لتجنب المزيد من المخاطر او السلبيات التي قد تحدث جراء العنف الذي يظهر في الفضائيات، ايضا ستتضح صورة بهية لكل انواع الاشارات والرموز والايحائات التي من شانها ان تشكل عنف امام المتلقي، وبالنتيجة سيكون هذا البحث إضافة جديدة في دراسات الاعلام والبث التلفزيوني والفضائي.

اهداف البحث:

يهدف البحث الكشف عن الإشارات والرموز والإيحاءات التي من شانها ان تنمي حالة العنف عند المتلقي في الأعمال الدرامية التي تظهر من على شاشة التلفزيون والقنوات الفضائية، ويهدف البحث أيضا الكشف عن المظاهر والإشارات او الإيحاءات التي تعبر عن العنف بكل أنواعه، ويرى الباحث في ذلك ان المخاطر الناجمة من

الإشارات او الرموز او الإيحاءات تشكل خطورة ابلغ من المظاهر التي تعبر بشكل صريح عن العنف، ذلك لان الرموز او الإشارات او الإيحاءات غالبا ما يكون تفسيرها غير مباشر وغالبا ما تزج في العديد من الأعمال من دون ان يشعر بها المتلقي الأمر الذي يؤسس استراتيجية للعنف في الدراما او الأعمال غير الدرامية ومن ثم تكون العواقب رهينة لما ستؤول له تلك الرموز او الإشارات او الإيحاءات والتي هي بالأساس وجدت لإدراج العنف كسلوك حياتي في المجتمع.

حدود البحث:

يتحدد البحث بالأعمال الدرامية التي تم عرضها من على شاشات السينما ومن ثم على شاشات القنوات الفضائية العربية في المدة التي تلت انهيار الاتحاد السوفيتي وسقوط جدار برلين وضرب بغداد، ذلك لان هذه المدة انفردت بها الولايات المتحدة في اتخاذ القرارات الفردية على مستوى العالم.

الفصل الثاني

المبحث الأول

مفهوم العنف :

وردت كلمة عنف في العديد من المصادر والمراجع العلمية وهي تشير الى معنى ضد الرفق، فقد وردت هذه الكلمة في المختار الصحاح لمحمد بن ابي بكر الرازي كما يأتي: (٤)

"العنف بالضم ضدّ الرفق تقول منه: عَنُفَ عليه بالضم (عُنفا) و(عَنف) به ايضاً. و(التعنيف) التعبير واللوم. و(عُنْفُوَانُ) الشيء اوله".

اما في كتاب لسان العرب لابن منظور فقد ورد العنف بأنه(٥) : "التقريع واللوم وهو ضد الرفق وأعنف الشيء اخذه وهو الخوف بالأمر وقلة الرفق به".

وما يهمنا في بحثنا هنا ان نبين مسألة العنف من الناحية التي تعني السلوك غير الاعتيادي في الجانب المرتبط بالتعامل الإنساني وهو كما حدده الدكتور هادي نعمان الهيتي في بحثه (تعرض الشباب المراهقين لافلام العنف في التلفزيون والسينما والفيديو وعلاقته بالإجرام) حيث اشار الهيتي في بحثه للعنف على انه القسوة في التعامل والخشونة او القوة الجسدية للاصابة او الأتلاف او الحاق الضرر وقد اكد ايضاً في تعريفه للعنف على انه يمكن ان يكون العنف غير جسدي كأن يلحق الضرر والأذى بثقة الناس ويعرف الهيتي العنف (ممارسة القوة الجسدية لالحاق الإصابة او الضرر بالاشخاص او الممتلكات او توجيه الفعل االلفظي او غير اللفظي من لدن طرف الى خصم آخر من أجل هدف معين بحيث يتضمن الفعل استخدام الوسائل الجبرية والقاسية او التهديد بها بصرف النظر عن الموقف القانوني للفاعل، أي بمعنى استخدام القوة او الخشونة او القوة الجسدية للإصابة او الإتلاف او إلحاق الضرر او تهديد بذلك الاستخدام، وعلى الرغم من النظر للعنف على انه قوة مادية تنتج

عنها اصابة جسدية الا ان من الممكن النظر اليه على انه يتضمن سلوكاً غير جسدي ينتج عنه إصابات ذهنية او اجتماعية مثل إلحاق الأذى بسمعة شخص او مجتمع) (٦) .

في دراسات علمية سابقة هناك اشارة اساس الى ان العنف له انواع وله اساليب حيث يمكن ان يكون العنف بالأنواع الآتية: (٧)

١- العنف البدني وهو العنف الذي ينشأ من خلال السلوك البدني كالقتل والضرب والاستخدام للمعدات والآلات اليدوية التي تحدث اذى بدني.

٢- العنف الشفوي او هو العنف الذي يحقق تهديد ونوع من القلق والخوف والرعب والرهبة عند الذين يقع عليهم العنف وعادتاً يكون هذا النوع من العنف قبل العنف البدني، وفي بعض الأحيان يكون هذا العنف مجرد من العنف البدني وهدفه هو اثارة الفوضى والقلق والرعب لتحقيق بعض المآرب.

لقد برز العنف كحقيقة موجودة في المجتمعات في الكثير من وسائل الإعلام ولعل من الغريب ان نرى هناك تأكيد على هذه الظاهرة أو الحقيقة في وقت تقدم فيه العلم بكل انواعه و انتعشت التكنلوجيا وازدهرت فيه العلوم التي يفترض ان تطور التعامل الانساني وتنميه نحو استخدام المنطق واستخدام الحلول السلمية ، لكن وعلى ما يبدو ان التكنولوجيا والتقدم العلمي مالا نحو الايديوجيات التي تهيمن على الإعلام بحكم ان التكنولوجيا نفسها تتمركز في قلب الدولة التي تناشد ارساء افكارها السياسية وتحديدا في الولايات المتحدة الامريكية ، حيث هناك المزيد من المصادر والمراجع العلمية تؤكد على ان العنف بدأ ينمو نمواً غير طبيعي في الفترة التي تبلورت فيها ظاهرة العولمة في المجتمعات وهي الفترة التي تلت انهيار الإتحاد السوفيتي وسقوط جدار برلين وقصف بغداد أي ان العنف كثيراً ما لازم المظاهر التي تخص المتعلقات والمفاهيم الخاصة بالعولمة ، حيث هناك الكثير من المراجع اشارت الى ان العولمة تستند الى الكشف عن العنف ونشر المفاهيم التي تساهم في توعية المجتمعات ازاء هذه الظاهرة ، وقد تبين ذلك في كتاب

الوطنية في عالم بلا هوية – تحديات العولمة لوزير التعليم المصري الدكتور حسين كامل بهاء الدين عندما اشار الى الأمن فيقول (كما قلت من قبل فلقد شهدت العولمة "في القرن التاسع عشر والقرن العشرين" موجات من العنف لم يسبق لها مثيل حروب عالمية وصراعات وتصفية عرقية ، وموجات من التطرف والإرهاب، سفكاً غير مسبوق للدماء بما شكله من موجات من الهجرة غير القانونية، وتزايد للمنظمات والأعمال الإرهابية وأزدياد نشاط عصابات إرهابية بدأت في نشر الجريمة المنظمة في مجالات التقدم التكنلوجي والإتصالات ومن عصابات لقطع غيار الإعضاء، الى عصابات للدعارة والقمار، الى عصابات للابتزاز والقتل المعنوي)[٨] ويؤكد الدكتور حسين كامل بهاء الدين في نفس كتابه هذا على ان العولمة في طبيعة ثقافتها تمهد للعنف من خلال اقامة ثقافة جديدة تبشر بنشأة اجيال كاملة تؤمن بالعنف كاسلوب حياة، وكظاهرة عادية وطبيعية[٩].

اذن العنف على ما ورد يكون ظاهرة ملازمة للثقافة التي ترومها العولمة حيث ان العنف برز وظهر بالشكل الذي نعهده اليوم مع ظهور الإرهاب الذي هو الآخر لم يكن له ان يظهر او يبرز بالشكل الذي نحن عليه الآن الا بعد تفرد الولايات المتحدة الأمريكية بالعالم واستحواذها على اعلام وموارد العالم بشكل غير متوازن، حيث عكست الولايات المتحدة الأمريكية باستحواذها هذا غايات جديدة لم يكن لها ان تبرز او تظهر بهذا الشكل لولا توجهاتها التي باتت مكشوفة ومعروفة لدى الجميع من المختصين، فظاهرة العنف التي مهدت وبشرت بها امريكا في العديد من وسائلها وامكانياتها الاعلامية المتنوعة انما هي تكميل لمخططات ودراسات عميقة وتفصيلية للعالم، فعلى سبيل المثال كلنا يعرف ان الذي يستخدم العنف من هو يمتلك القوة او من يمتلك وسائل العنف والتي هي بالعادة تتمثل بالقدرة على امتلاك الاسلحة او المال الذي يجلب الجيش والسلاح والقوة، وبما ان امريكا تمتلك السلاح والقوة والمال اذن كان لها ان تطبل وتزمر للعنف لكي تؤكد للعالم انها هي الأقوى

في العالم، وبالفعل نلاحظ اليوم وكل يوم معاداة امريكا لكل من يعارضها او يواجهها وبأشكال متعددة ومتنوعة وهو ما قاد امريكا الى ان تبرر لنفسها استخدام العنف امام كل من يقف عائل نحو مصالحها، وهناك ادلة كثيرة على ذلك ومن بين اهم الأدلة ما قامت به امريكا في العراق بعد احتلالها غير المبرر، فقد قامت القوات الامريكية باعتى واخشن معاملة شهدتها البشرية لشعب اعزل عندما استخدمت كل امكانيتها الحربية من طائرات ودبابات ومدافع واسلحة فتاكة وامكانيات عالمية ضد مدينة صغيرة جداً في العراق كمدينة (الصدر) او مدينة (الفلوجة) في الشهر الرابع من عام ٢٠٠٤ حيث اكدت هذه العملية على ان امريكا متوق لاستخدام العنف بل انها تتأمل استخدام العنف في كل لحظة وخصوصاً امام الشعوب الفقيرة أو الضعيفة لتجبر ممن هم أقوياء على الرضوخ والأنصياع لأفكارها، لذلك لوحظ ان العنف الذي ترموا له الولايات المتحدة وتستخدمه يتباين في استخدامه ويتباين في انواعه، فبالوقت الذي تستخدم فيه الولايات المتحدة الامريكية الاسلحة العسكرية الفتاكة من صواريخ وطائرات ودبابات واقمار صناعية ومدافع لقمع مجموعة من أهالي الفلوجة او الصدر نلاحظ انها تستخدم التكنلوجيا والمعلومات والسباق المعرفي والتقنيات الألكترونية او العلمية امام القوى العظمى في العالم وتستعرض كل تقنياتها ومعلوماتها ومعارفها في السيطرة، وهو ما يقودنا هنا الى تكون تلك التقنيات الرقمية او المعلوماتية بمثابة قوى عنيفة غير القوى التي نتحدث عنها في استخدام الدبابات او الطائرات الحربية او الصواريخ اوالأسلحة او القوى البشرية المتدربة تدريبا عسكريا، وهذا ما اكده الدكتور نبيل علي في كتابه (تحديات عصر المعلومات) عندما اشار الى عنف عصر المعلومات العديدة [١٠] مثل:

١. العنف الرمزي
٢. الاستغلال المعلوماتي
٣. الفجوة الرقمية
٤. احتلال الفضاء المعلوماتي
٥. التجويع المعرفي
٦. ضراوة اجهزة الإعلام
٧. العصف العقول
٨. تزيف العقول عن بعد

٩. الإمبريالية الرقمية ١٠. القمع الآيدلوجي.

لقد اشار الدكتور نبيل في كتابه هذا الى العنف بأنه سلوك يمارسه من بيده القوة على من لا حوله له منها وهو ما ينطبق تماماً على الولايات المتحدة او إسرائيل التي تستخدم العنف امام العراقيين والفلسطينيين، واشار ايضاً الدكتور نبيل الى ان القوة يمكن ان تكون معلومات بحكم ان المعرفة قوة تلخصها لنا مقولة فرنسيس بيكون المستندة على امبراطور الصين صان تسو عندما قال : "المعرفة هي القوة التي تمكن العاقل من ان يسود، والقائد من ان يهاجم بلا مخاطر، وان ينتصر بلا إراقة دماء، وان ينجز ما يعجز عنه الآخرون" (١١) .

ان المعرفة والمعلوماتية التي تشكل قوة عظيمة تبلورت ونشأت في أحضان الفترة التي واكبت ظهور العولمة حيث ان كل التقنيات والإمكانيات الإلكترونية لم يكن لها ان تظهر الا بعد سقوط الاتحاد السوفيتي الذي كثيراً ما شغل الفكر الغربي ، والواقع ان هذا السيل من القطيع الإلكتروني تزامن وتبلور في وقت مدروس ومخطط له منذ سنوات عديدة حيث ان التقنيات الإلكترونية من استخدامات الحاسبات الإلكترونية والانترنيت كانت موجودة في الولايات المتحدة منذ سنوات طويلة بل وحتى قبل سقوط الاتحاد السوفيتي وجدار برلين الا ان الولايات المتحدة وعلى ما يبدو كانت حريصة من ان تتسرب تلك الإمكانيات الهائلة لدول الاتحاد السوفيتي قبل ان يسقط وتكون تلك التقنيات الإلكترونية سلاح عنيف لصالح دول المعسكر الاشتراكي، فبعد ان اطمأنت الولايات المتحدة الامريكية من ان الاتحاد السوفيتي انهار بشكل مطمئن باشرت بأستعراض التقنيات الحاسوبية او الالكترونية لتكون هذه التقنيات سلاح جديد للولايات المتحدة، وبالفعل برز الانترنيت كأخطبوط عجيب يتعسف في كل المنازل والدوائر الحكومية وغير الحكومية ليحقق حالة من الاستسلام عند الكثير من المعنيين والمستهدفين.

ان الولايات المتحدة لم تتخذ من التقنيات التي ذكرناها سلاح لها لترهب عدوها من خلال هذه التقنية الرقمية الحديثة فحسب بل ان هذه التقنيات متمم لما كان قد صمم له في السابق عبر أمكانيات الـ (Multimedia) فهذه التقنيات جاءت متممة لما حققته السينما وما حققه التلفزيون عبر مسيرة طويلة ولعل مقولة هنري كيسنجر واضحة وصريحة في هذا الشأن عندما صرحها ابان الحرب الامريكية مع فيتنام بأن الأعلام الامريكي اصبح المفتاح في تحقيق النصر لامريكا وذلك بحكم تقنيات الأقمار الصناعية التي احدثت قفزة في عالم الإعلام (لن يسمح للأمريكان بأن يستمروا بلا قصاص من قصف فيتنام وان كانوا يسيطرون على ٦٥% من الدفوقات الإعلامية في العالم).(١٢)

في حديث تلفزيوني لعالم النفس الدكتور قاسم حسين صالح بث يوم الجمعة الموافق ٢/٤/٢٠٠٤ من قناة العراقية في العراق اشار الى ان المجتمع العراقي تغير سلوكه الإنساني مع تطور الأحداث ومع المتغيرات السياسية التي طرأت عليه لتجعله مجتمع لا يخلو من العنف، وذكر الدكتور قاسم بأن لدور التلفزيون تأثير في تغيير السلوك حيث ان الشاشة التلفزيونية العراقية استعرضت مشاهد عنيفة كثيرة، كبرامج صور من المعركة أو الأفلام الحربية أو المشاهد العنيفة الأخرى التي تظهر الأسلحة والجيوش والمعارك وهذه المشاهد لما لها دور مهم في تغيير السلوك البشري خلقت جيل كامل يتسم بصفات تتوائم مع العنف وتتوائم مع الدفق السائد من الإحداث البشعة التي يمر بها المجتمع العراقي خلال فترة تسلم صدام حسين السلطة، حيث عكست هذه الفترة جانب اساس في بلورة العنف داخل البيئة العراقية وهو ما اوعز الى تبني حالة من الميول لدى المواطن في التعايش البديهي في استخدام السلاح او التأقلم مع القساوة والمحن، فاستخدام السلاح اصبح مألوف في المجتمع العراقي لدرجة التباهي به، فهناك الكثير من الحماقات عند الكثير من المسؤلين في حكومة الرئيس المخلوع صدام حسين تركت اثار سلبية في العنف واستخدام السلاح، فقد كان الكثير من المسؤلين

يستخدمون الاسلحة ويطلقون العيارات النارية كجزء من الافتخار او الابتهاج وكان الكثير من افراد العوائل الرئاسية تفرط في اطلاق العيارات النارية، حتى اخذ العديد من المواطنين تقليد ومحاكاة اولئك في استخدام السلاح، بل ان الرئيس المخلوع صدام حسين غرس في ذهن المواطن العراقي الاستخدام المفرط في السلاح فناهيك عن ان صدام حسين كان كثيرا ما يظهر وهو يحمل سلاح كجزء من زيه العسكري اوالمدني نراه كان يستخدم السلاح بالأفراح او الاستعراض العسكري فيطلق العيارات النارية بإفراط، وبنفس الوقت يحاسب من يطلق العيارات النارية و(كل ممنوع مرغوب) حتى اصبح التقليد لصدام حسين مسالة اعتيادية واصبحت الأفراح بالمجتمع العراقي مقرونة بالسلاح او العيارات النارية.

ان ظاهرة العنف عند المواطن العراقي قد تكون مختلفة بشكل كبير مع الظواهر غير العنيفة لدى المواطنين الآخرين كالمواطن الفرنسي او الاماراتي أو السويسري أو الأردني، الا انها مشابهة للظاهرة العنيفة عند المواطن الفلسطيني الذي عانى كثيراً من المعدات العسكرية والسلاح والدبابات والعنف الإسرائيلي ليكون بالتالي مستوعب ومستقبل جيد لكل التوجهات العنيفة التي تحققها الاسرائيلية في فلسطين.

اذن البيئة والمناخ والظروف التي تطرأ على الشعوب لها دور كبير في خلق ظاهرة العنف بالمجتمعات ولها حيز واسع وكبير في تعبئة المجتمعات وتحويلها ضمن فئات او تصنيفات محددة، وهي بالتالي تكون محور يهدد في تجسيد العنف لدى الشعوب وبما ان التلفزيون او السينما يخلقان افتراض مشابه ومناظر لكل الظروف او المناخات او البيئات التي تفرض العنف في المجتمعات، اذن كان للسينما والتلفزيون دور كبير في خلق العنف وتفشيه بصورة بليغة بالمجتمع ولأدراك هذه الحقيقية هناك المزيد من الأمثلة والإشارات التي تؤكد هذه القضية فهناك الكثير من الجرائم على سبيل المثال وقعت بناءاً على ما شوهد من مواقف واستعراضات لجرائم في الأفلام السينمائية او في شاشات التلفزيون، فكثير من المجرمين

الذين قامو بمجموعة من الجرائم استندوا على ما ظهر من اجرام من على شاشة التلفزيون او السينما وهذه حقيقة أكدتها العديد من المصادر او المراجع المختصة بعلم الجريمة كمجلة الداخلية التي كانت تصدر في العراق لسنوات طويلة او مجلة الساهرون التي كثيراً ما كانت تتناول هذه القضية، حيث هناك تأكيد على هذا الموضوع الذي كثيراً ما شغل بال المسؤولين عن النظام والأمن في تجنب العنف والاحداث غير المرغوبة حتى ان من بين تلك المجلات المتخصصة اعدت بحوث ودراسات تخصصية في هذا الجانب من البث الذي يحفز على اشاعة العنف والجريمة بالمجتمع وطلبت تلك الدراسات الكف والترشيح لتلك الأعمال التي تستعرض العنف والجريمة وذلك لحماية المواطن من التأثيرات السلبية من هذه البرامج والتي كثيراً ما تعكس جوانب سلبية في السلوك الإنساني، فهناك العديد من تلك الدراسات اشارت الى خطورة هذا الموضوع ومنذ فترة طويلة جداً، حيث بينت تلك الدراسات ان العنف الذي كثيراً ما يظهر من على شاشات التلفزيون اسهم بشكل فاعل في ازدياد نسبة الجريمة والعنف في المجتمعات.

العولمة والعنف

أن تناول موضوع العنف من الناحية النفسية والتربوية ازاء التأثيرات الجانبية النابعة من السينما او التلفزيون قد يكون موضوع متقادم او غير جديد مقارنتاً بما تناولته الدراسات النفسية والتخصصية في هذا الجانب، الا انه في ذات الوقت يؤكد حقيقة جديدة تبلورت ازاء التغيرات التي طرأت وتبلورت ابان العهد الذي انبثقت فيه ظاهرة ملحوظة اسمها العولمة حيث ان التوجه الذي تقدمت به العولمة امام العنف والجريمة يشكل مرحلة متقدمة من التوافق والتكامل، بل ان من ضمن المضامين التي جاءت بها العولمة وكما حددتها رسالة دكتوراه بعنوان (مظاهر العولمة في البث الفضائي العربي) العنف حيث هناك مظهر لمظاهر العولمة قد قنن في تلك الرسالة تحت مفهوم العنف والجريمة[١٣] فقد ذكرت الرسالة ان

من المظاهر التي تؤكدها العولمة هو الترويج للعنف والجريمة، وايضاً هناك دراسة مهمة في ندوة الأختراق الاعلامي التي اقامها معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة عام ١٩٩٦ قد اكدت على نفس هذا الموضوع من خلال الأشارة الى ان البث الفضائي العربي الحكومي لبعض الدول العربية كثيراً ما يقلد البرامج التي تبث من خارج الوطن العربي والتي تتسم بمجموعة من القيم والسمات التي لا تتوائم مع متطلبات واحتياجات المجتمع العربي ومن بين اهم تلك القيم او السمات روح المغامرة والمغامرة (Adventuresome) حيث تعتمد العديد من الاعمال الدرامية المغامرة والمشاهد المثيرة في احداث العمل كان يظهر البطل في موقف خطير للغاية مثل العمل وسط مخازن خطيرة للأسلحة او العمل في تصنيع القنابل كما هو الحال في فيلم (Specialist)الاختصاصي الذي مثله سلفستر ستالون وشارون ستون عندما ظهر بطل الفيلم متخصص في صناعة المتفجرات وان عمله شريف وذو أهمية بالمجتمع كونه يفجر الأشرار والناس السيئين اضافة الى ان العمل استعرض ما هو اهم من ذلك واخطر حين عرض البطل وهو يصنع القنابل والمتفجرات بكل سهولة وبالتفصيل وكأنه يشرح لمجموعة من الطلبة في فيلم تربوي او تعليمي عن تجربة علمية، الأمر الذي قاد ان تحاول شرائح من الشباب في بعض البلدان الى تقليد البطل، وهو ما اتضح بشكل تام في الضروف التي يمر بها الشعب العراقي ابان فترة الاحتلال الامريكي حيث تناولت الصحف وكالات الانباء عن المقاومة العراقية التي تستخدم عبوات ناسفة محلية الصنع او متفجرات بدائية، وهناك ايضاً الكثير من المواقف الخطيرة والمرعبة تستعرضها الأعمال في السينما والتلفزيون تحفز على بث واشاعة روح المغامرة والمقامرة بشكل صريح ومباشر.

لقد اشارت الدراسات في ندوة الاختراق الإعلامي الى قضية مهمة وخطيرة في ذات الوقت عندما تناولت موضوع السمات والقيم التي تناشد بها المحطات الفضائية العربية حيث تشير الدراسة الى ان من بين القيم الاساس التي تهتم بها تلك القنوات في بثها هي قيم

(Aggressiveness)- العدوانية وهي السمة التي تهدف إلى ترسيخ وجود الأعداء في المجتمعات ولابد من مواجهتها وتصفيتها، أي ان هناك نوايا شريرة واعداء كثيرون ولابد من المواجهة لتلك العدوانيات من خلال التسلح او اللجوء الى العنف، وهنا يترتب امر غاية في الأهمية ازاء ما نراه اليوم في الساحة العراقية والفلسطينية حيث تظهر على القنوات الفضائية وضمن الأخبار من ان القوات الامريكية في العراق او القوات الاسرائيلية في فلسطين تواجه هجوم عنيف من قبل بعض الأعداء او المجرمين او الأرهابين، ففي امعان دقيق لتلك الاخبار او التقارير السياسية نلاحظ ان هناك تعظيم دقيق وستراتيجي لتلك الأخبار او الأحداث من حيث الإعداد لها اوالتنظيم لها، فالمجرمين والأرهابيين او الأعداء الذي كثيراً ما تطلق عليهم النيران انما هم اصحاب الحق واصحاب البلد الحقيقي والذي هو مستلب من قبل الأحتلال، أي ان الحقيقة تلاشت مع الكم والزخم الذي يتدفق من الاعلام الأكثر انتشاراً وتوسعاً وهيمنتا على الساحة ، ففي الوقت الذي يدافع اولئك الناس عن اراضيهم من الإحتلال اصبحت قضية الجريمة والعداء والارهاب تدور حولهم ، والواقع ان التمهيد والتنظيم لهذه الحالة او المسرحية ان اصح التعبير قد اعد من قبل مفكرين ومنظمين متخصصين حتى اصبحت الحالة بهذا الشكل الذي نحن عليه ، فهناك غرف عمليات خاصة تنظم وتمهد وتفكر في خلق العديد من هذه الحالات .

ان العنف الذي نشب في العديد من المجتمعات كان بالامكان ان يقلص ويخفف ويصبح بنسبة ضئيلة جداً الا ان لما يثار ويعرض من على الشاشات توسّع وانتشر للحدود البليغة واصبح الموضوع الاساس في النشرات الاخبارية والاعلام، بل انه اصبح في قالب غير القالب المعهود له من قبل وهو ما شكل في النتيجة ان يكون العنف سائداً في الكثير من المجتمعات، لقد اصبح ظاهره تتسم بها الكثير من المجتمعات، فعلى ما يبدو ان الاعمال السينمائية التي تستعرض في بعض الاحيان العديد من القصص والروايات لإحداث حدثت او افترضت تستعرض العنف بشكل كبير، فهذه الافلام كثيراً ما تستعرض

الإسلحة بشكل مفرط وكثيراً ما تؤكد الاستخدام الجسدي العنيف في تحقيق اوانجاز المهام وكثيراً ما تثير الحروب والقتال في الشوارع والمدن والمؤسسات الرسمية وغير الرسمية لذلك كانت هذه الاعمال اشبه بما يكون تحفيز وتشجيع للمتلقين في استخدام العنف للحصول على الاشياء، وهذه الحقيقة اتضحت حتى في برامج الأطفال كالرسوم المتحركة التي غالباً ما تظهّر بطل العمل شخص عنيف يقاتل الإعداء ويستخدم اشد واقوى واحدث الاسلحة الفتاكة كمسلسل (كريندازر او رجال الدجتال او القناع الخ)، وهو الامر الذي قاد العديد من الاطفال الى الميل للعنف وارتكاب الجرائم [14]، وبنفس الوقت تستعرض هذه الأعمال موضوعات مليئة بالتشاؤم والقلق ومليئة بالخوف والتحذير وتحت افتراضات مسبقة ومعدة للأطفال لتحقيق مفهوم الأعداء الذين يرغبون في القتل وسفك الدماء وتحطيم وتخريب كل المباني وهو الأمر الذي يعزز مفهوم التهديد المباشر وغير المباشر للطفل أي انه ينذر بأن خطر قادم من كل مكان وقوى خطيرة ستهاجم وعوائل ستتشرد وما لم يكن هناك دفاع حاسم من خلال استخدام العنف او القوة الصارمة ستكون الأوضاع في سوء متزايد ومتصاعد، اذن كان الافتراض الذي جاء به العمل الموجه للطفل هو الآخر مليء بالعنف والقوة وهو يشكل نمو لظهور اجيال جديدة تؤمن وتعمل وتفكر وتستخدم العنف أي ان العنف سيكون جزء من الثقافة وجزء من الحياة [١٥].

العنف من خلال السينما والتلفزيون

الإعلام الذي استندت عليه الولايات المتحدة الأمريكية جعل من السينما المنبر الأساس في بلورة وطرح كل الأفكار التي ترسمها، فالسينما استطاعت ان تحقق الكثير من المكاسب التي تحلم بها الولايات المتحدة، فمنذ ان ظهرت السينما في العالم تغيرت العديد من المعالم والسلوكيات في المجتمعات وهذا ما يقود الى ان السينما تمثل الجذور الاساس في الهيمنة وفي القيادة، فبعد ان قادت السينما

المجتمعات الى العديد من السلوكيات والتصرفات الجديدة أيقنت الولايات المتحدة بأن السينما هو المستقبل الحقيقي في بلورة الأفكار والطروحات التي تترجاها في الهيمنة على العالم، وبالفعل سخرت السينما لصالح الولايات المتحدة الى حدود قصوى وذلك كي يتبلور الفكر الذي رسم له من قبل اللوبي المهيمن على امريكا والذي يدعو الى هيمنة امريكا على العالم، ولكي تتحقق هذه الرؤيا اعتمدت امريكا المزيد من الخطط والتوجهات الخاصة بالسينما من حيث زج الكثير من الموضوعات التي ترتئيها حتى يؤسس لها نمط نموذجي في السيطرة على المتلقين لخلق نماذج بشرية تتلقى كل التوجهات وكل الأفكار المرجوة، لذلك كان على امريكا ان تخلق انواع متعددة من النماذج الفيلمية في السينما كي لا يكون خط الأعمال التي تعرض ضمن قالب واحد او ضمن فبركة مفضوحة، ومن هنا نفقت الولايات المتحدة على السينما الملايين والملايين لكي تصبح السيادة للسينما الأمريكية، هذا بالاضافة إلى استقطاب اهم وافضل الخبرات والإبداعات لأمريكا لتكون السينما قوة من القوى الاساس التي تعتمد عليها في طرح المزيد من التوجهات التي ترموها، فهناك الكثير من الممثلين والمخرجين الايرلنديين اوالفرنسيين اوالايطاليين او البريطانيين نراهم انخرطوا في العمل السينمائي الامريكي مثل روجر مور وشارلي شابلن وارسون ويلز وبيرس بروسنان وجون رينو وانتوني كوين وشون كونري وصوفي مارسو التي صرحت وبشكل علني انها (هربت من فرنسا الى امريكا لتعمل مع الامريكان وذلك لتيقنها ان السينما الامريكية تحقق الشهرة)[١٦] وليصعد نجمها بشكل اكبرفي امريكا والعالم، فالسينما الفرنسية لا يمكن ان توازي السينما الامريكة، ولعل نوعية الافلام وطبيعة توجهاتها وفق التسلسل الزمني الذي ظهر فيه الفيلم الامريكي هو افضل دليل على ذلك.

أن نظرة سريعة على الاعمال السينمائية الامريكية القديمة كفيلة في اعطاء صورة عكسية للسينما في الوقت الحاضر والذي هو وقت أطلق العنان فيه لكل توجهات العولمة واباح لها كل ما ترتئيه، حيث ان فترة العشرينات من القرن الفائت حتى السبعينيات لم تفرز كمية

موازية لما افرزت الفترة التي تلت انهيار الاتحاد السوفيتي من افلام عنف ورعب وخصوصيات أخرى، ولا شك ان السينما في تلك الفترة حاولت وسعَت جاهدة في احتواء كم من مشاهد الإثارة والعنف او المطاردة، الا ان تلك الفترة مهما تكن هي حتما بأقل مما أنجز وانتج فيما وراءها، فقد أعربت هذه الفترة عن جملة عظيمة من الاعمال التي امتزجت بالعنف لدرجة ان الافلام التي تنتج في الوقت الحاضر مهما يكون نوعها او اتجاهها تحوي بشكل او بآخر بمزيد من مشاهد العنف والإثارة.

ان الافلام الرومانسية التي انتجت قبل سقوط جدار برلين كان لها حيز بين الافلام التي تهم المتلقي خصوصاً وان هناك العديد من الاعمال التي انتجتها السينما الفرنسية والأيطالية والبريطانية نافست افلام الولايات المتحدة التي كانت تحوي مضامين شاعرية او رومانسية في تلك الفترة، الا ان الذي حدث هو الهبوط الصعب لسينمات العالم امام سينما امريكا لتنفرد الولايات المتحدة في الانتاج المتفوق وبالتالي اصبح الإنتاج رهين لمشاهد العنف والمطاردة والإثارة، لتتهمش السينما السابقة وتلد سينما عنف صرف بكل المعاني وتمجد لأمريكا من خلال العنف الذي يكون لصالح امريكا ومن ثم تخلق نماذج موائمة لمطامح الفكر الغربي، فكل الأفلام تقريباً اصبحت تحوي على العنف بشكل او بآخر، فالقصص الرومانسية الجميلة اصبح المحتوى لها رومانسي والشكل الآخر منها عنيف مليء بالحركة والمطاردة والمشاهد الدموية، ولعل فيلم تايتنك للمخرج جيمس كاميرون دليل واضح لما ذكرنا فهذا الفيلم الذي تحدث عن قصة (فنان) رسام شفاف يعشق فتاة رومانسية رقيقة اشتمل جملة وتفصيل على مشاهد غاية في العنف والقساوة وهو ما جعل للفيلم ان يدخل حقبة الافلام (Action) الحركة او افلام المطاردة بالوقت الذي كان يمكن ان يكون في حقبة الأفلام الرومانسية، اذن هناك دعوة حقيقية في ان تحتوي كل الاعمال السينمائية طابع يحفز روح العنف والمطاردة وهناك ايضاً تلميح الى الابتعاد عن العاطفة الإنسانية، العاطفة التي تبتعد عن القسوة والعنف

والجريمة، بل هناك توجه الى الكشف عن كل تفاصيل الجريمة والاعمال البشعة لتكون مباحة للجميع، كفلم (Eraser) الماحي للمثل ارنولد شوارزينجر الذي استعرض معلومات دقيقة عن بعض الاسلحة المحظورة، بالوقت الذي يجب ان تكون فيه السينما منبر للثقافة والتحضر والتمدن في المجتمعات، لخلق جيل جديد يؤمن بالتطور والازدهار الإنساني لمعالجة المشاكل التي يعاني منها المجتمع في الجهل والأمية التي تقود المجتمعات نحو التخلف، فنرى ان اللب الذي يبحث عنه صانع السينما هو القدرة على الاستقطاب بأي شكل دون الاعتداد بالقيم المثلى او الارتكاز على الأهداف النبيلة التي تناشدها الثقافات السامية والعلوم الإنسانية.

بالإمكان ان يكون للسينما استقطاب او جذب دون اللجوء للعنف والجريمة، فهناك الكثير من الأعمال استطاعت ان تتلقف المتلقي وتجذبه من دون الرجوع للجريمة او العنف وهذا ما اكده يوجين فال في كتابه من كتابه السيناريو عندما قال: (لا يتقيد التشويق بالضرورة بالدم والقتل . فيمكن لقصه حب رقيقة ان تحتوي على التشويق بقدر تمسكها بنفس مبادئ النية والصعوبات المعاكسة وبذلك تثير الشك في عقل المشاهد) [١٧] .

لقد اشارت العديد من المصادر المتخصصة الى ان الجمهور غالباً ما يبحث عن الإثارة والإبهار في الفيلم السينمائي وهو ما جعل لافلام الحركة او المطاردة سوق ينافس كل الاسواق، ولعل الافلام التي تعتمد الحركة والإثارة والمطاردة من أهم الافلام التي حققت ايرادات خيالية مثل افلام انديانا جونز او(Eraser) الماحي او(Star wars)حرب النجوم او (Lord of rings)سيد الخواتم فهذه الافلام تمكنت من تحقيق واردات مادية حفزّت العديد من المنتجين الى انتاج أفلام مشابهة او مقاربة لموضوعاتها واشكالها، ولما لهذه الأفلام من اهمية وتأكيد في السينما اصبح لها متخصصين في الصناعة واصبح لها منظرين وممولين مختصين بهذا الجانب من الافلام ، حتى ان هناك من الباحثين من نال شهادة عليا في مجال افلام الحركة وذلك عن دراسته ومتابعته لكل ما يحدث ويقام لهذا النوع من الافلام

وبالتفصيل الدقيق، ففي كتاب اخراج افلام الحركة للدكتور سمير سيف موضوعات تفصيلية عن طبيعة المعارك وطرق تنفيذها والانواع والاستخدامات والطرق الخاصة بها وفي دقائق لكل المفردات، حيث جاء الكتاب بموضوعات تؤكد حقيقة مفادها ان المشاهد الخاصة بالمطاردة او الحركة انما هي عالم كبير وواسع للغاية لدرجة ان السينما المصرية تناولته بدقة وتفصيل ودونته في مراجع وكتب مع العلم ان السينما المصرية مهما بلغت فهي لا توازي ربع السينما الامريكية لا من حيث النوع ولا من حيث الكم ، فكتاب الدكتور سمير سيف على سبيل المثال جاء بتفصيلات دقيقة جداً لإفلام الحركة او المطاردة مثل مشاهد القتال الجسدي، القتال اليدوي، الصفعات، اللكمات، الركلات، السقطات، الرميات، الخنق، القتال اليدوي بإستخدام الملحقات (الإكسسوار)، القتال المسلح، تحليل الحركة وبناء النموذج، تنسيق المعركة وعنصر المفاجأة، الاداء التمثيلي في مشاهد القتال، الاشتباكات واسعة النطاق والمعارك الحربية، المطاردات، عدد الشخصيات المشاركة في المطاردة، الهدف من المطاردة، وسيلة المطاردة، جغرافية الشاشة، اتجاه الحركة، المطاردة الليلية، التشويق داخل المطاردة، المطاردة كفاصل متميز الخ.

العنف الذي برز في الآونة الأخيرة على شاشات السينما لم يقتصر انعكاسه على الدراما التلفزيونية لتكون الاعمال الدرامية هي الأخرى مرتع للعنف والجريمة بل تحدى هذه الحدود وانتقل الى البرامج والأخبار في التلفزيون حيث ظهرت في الآونة الأخيرة مجموعة كبيرة من الأخبار السياسية على شاشات التلفزيون تلوح وتبشر بمجموعة كبيرة من المشاهد العنيفة التي أصبحت هي الأخرى مركز صريح لإستقطاب المتلقي عبر الإثارة والإبهار الذي يحققه الخبر من هذا النوع، فهناك الكثير من الفضائيات تتعمد في فبركة بعض التقارير الأخبارية وبأي شكل من الاشكال لخلق حركة وإبهار في التقرير الاخباري كأن تترصد لمجموعة مسلحين فترات طويلة ومن ثم ربط بعض الحركات العنيفة من مشاهد متنوعة في مشهد

صغير أو انها تلجأ الى خلق مشاهد بجلب بعض المرتزقة او الكومبارس حتى، لإحياء مشاهد ذات إثارة وابهار، وهو ما حدث كثيراً في التقارير الإخبارية عن المقاتلين الأفغان او الشيشان.

هناك من القنوات الفضائية تعقد اتفاقيات مع مجموعة من المسلحين في تحقيق أخبار طازجة كأن تمول تلك المجموعات بالمال والأسلحة ومن ثم العمل على خلق أحداث تكون ذات تأثيرات بليغة في الساحة السياسية، ولعل ما قامت به قناة الجزيرة من فبركة في دعم بعض الجهات المسلحة في العراق دليل على ذلك فهذه القناة تمكنت من ان تخلق لها مجموعة كبيرة من التقارير الإخبارية المميزة بهذه الطرق العنيفة ولا نريد الإطالة بهذا الجانب كون ان موضوعنا معني في الدراما أكثر مما هو في الإخبار والبرامج.

ان العنف الذي نشب من الدراما السينمائية استطاع ان ينعكس ليس على الأخبار او التقارير السياسية فحسب بل نراه تجاوز ذلك وانعكس حتى على الأغاني المصورة والموسيقى ، فهناك المزيد من الأغاني (video clips) تناولت موضوعات أثناء التصوير غاية في العنف، فنرى ان الأغاني أصبحت هي الأخرى مثار للعنف والجريمة ولعل الأغاني التي جاء بها المطرب الأمريكي(Michele Jackson) خير دليل على ذلك فهناك مجموعة كبيرة لهذا المطرب تؤكد العنف بأشكال غريبة، فمنذ ان دخل هذا المطرب حيز الغناء بالشكل العالمي كانت له أغاني مليئة بالعنف والإثارة والإبهار مثل أغاني (Thriller) او (Smooth criminal) أو (Bad) واغاني اخرى كثيرة فهذه الأغاني رغم انها تحتوي على مشاهد عنيفة في التصوير نرى ان طبيعة الاستخدام للآلات الموسيقية وطبيعة الغناء مليئة بالعنف والإثارة فهناك المزيد من الاستخدام للأنواع العنيفة كأصوات محركات عملاقة او اصوات هلع وخوف او استخدام لـ (Bass) بشكل يثير العنف او استخدام الايقاعات ذات السرع الفائقة التي تحفز على الانفعال والاثارة ناهيك عن ان المطرب في حد ذاته يقوم بحركات راقصة ذات اشكال مؤثرة في خلق العنف أو يقوم المطرب في مسك الميكروفون وتحطيمه او رميه او قذفه بأشكال مغرية

ومثيرة مع استعراضات للألعاب النارية، والواقع ان هذا الحركات انعكست على الكثير من المطربين الآخرين ومنهم المطربين العرب فهناك الكثير من الأغاني العربية نرى انها تحمل الكثير من هذه المواصفات المنعكسة من تلك الإغاني كأغاني مصطفى قمر او نوال الزغبي التي اندمجت في أغنياتهم مشاهد للمطاردة .

أن المؤثرات الصورية التي تظهر في الكثير من الأعمال التلفزيونية والبرامج الخاصة بالتقديم اوالاستعراض والفواصل لبعض المشاهد تمتلك الكثير من المؤشرات الحركية ذات التأثير العنيف على اللقطة فهناك جملة من التقطيعات الصورية السريعة ذات المؤثرات الصوتية العنيفة كاستخدام مؤثر لأصوات الطائرات النفاثة وأصوات المحركات العملاقة والبواخر والدراجات النارية او استخدام أصوات المدافع والمسدسات او استخدام الضربات الموسيقية ذات الإيقاع السريع جداً او استخدام الضربات الموسيقية ذات التوقف والانطلاق السريع او استخدام اصوات الحيوانات المفترسة وتوظيفها على شكل تسلسل معقول مع اللقطات الصورية، وكل هذه في الواقع انما هي استخدامات لخلق مؤثرات وانطباعات عند المتلقي تتفاعل وتتوائم مع حالة العنف، وهي بالنتيجة تكون مصدر اساس في تغيير ميول ورغبة المتلقي، حيث لوحظ في المدة الأخيرة من خلال المستقبل الفضائي (Satellite)ان كل الفواصل والتقديمات الخاصة بالفضائيات تغيرت بشكل جذري عما كانت عليه القنوات المحلية في الثمانينات وما دون، فهناك استخدام مغاير في عرض العناوين والفواصل والتقديمات الـ (Promotion) من خلال استعراض الصور الكثيرة ومن خلال مزج اللقطات بالمؤثرات الصوتية المتنوعة ومزج اللقطات بموسيقى متنوعة ومتعددة مشتملة على المزيد من الضربات العنيفة كاستخدام الآلات الموسيقية ذات الوقع المؤثر في ارساء العنف كـالـ (براصات Brass) أو الطبول (Timpani) أو ضربات الـ (Percussion) او استخدام الآلات النحاسية بشكل مفرط والواقع ان هذه الاستخدامات لو أمعن بها لوجد انها من تأثيرات السينما ، حيث ان كل هذه الاستخدامات انما هي من خلال تجربة السينما التي

ادركت بالشكل اليقين ان هذه الاستخدامات التي وظفت في بعض الاعمال ومنذ الستينات قد استقطبت المزيد من المتلقين واكتسحت السوق او شباك التذاكر، فعلى سبيل المثال نرى ان مثل هذه الاستخدامات موجودة في افلام هيتشكون او افلام جيمس بوند او فلاش جوردن وهي افلام حققت ارباح هائلة في حينها بحكم انها استقطبت المشاهدين، وعلى ضوء هذه الأرباح الهائلة تعمدّت السينما في تكرار مثل تلك الاستخدامات لتعيد وتحقق النجاح الذي تعتقده، وفي نفس الوقت استفاد التلفزيون من هذه التجربة وانغمس في هذا المبدأ الذي انتهجته السينما ليحقق ما حققته السينما، فأستخدم التلفزيون كل ما أتيح له من محاكاة لتلك الاستخدامات حتى أصبحت كل القنوات تحاكي ما توصلت له السينما، او تحاكي القنوات او الفضائيات التي حققت الاستقطاب من خلال محاكاة الافلام السينمائية.

في موضوع استطيقا العنف الفيلمي وابتسار المكان لطاهر عبد مسلم في كتابه عبقرية الصورة والمكان تاكيد على انشطار المكان وتزييفه لجعل حداثة للسينما، وتاكيد عن ما ترموا له السينما في الانسنة واستمرار الصراع والتفنن في الجريمة والوحشية والقتل والمطاردات، دعوة للقلق والخوف والرهبة والوعي الحيواني، هباء كوني، كواكب شاردة، عدوى الجنون القيمي والعبثية الاخلاقية، نزوع بربري لمزيد من الانتهاك والقتل، افصاح عن نوازع الجريمة المتعددة والمتنوعة في عصر التكنولوجيا المتقدمة – عصر العولمة، لقد بين الكتاب عبر طياته جملة من الجراح واللام الموجعة للتوجهات الفلمية العنيفة، الامر الذي ينذر بموجات شديدة للعنف في المستقبل حيث يذكر في الكتاب (المكانية الفيلمية تنفتح ابوابها للبطل العنيف ليبتسر الاماكن ويختزلها في ذاكرة تبحث عن لا هدف ولا جدوى..اذ يتفاقم الصراع الجنوني في مطاردات حتى الموت..هكذا كان فيلم الامس اما اليوم فسينما الالفية الثالثة تطارد لما بعد الموت لاجيال تتوالد..تتناسخ، اذ ان السلاسل السينمائية لافلام الجريمة والعنف صارت وسيلة للامعان في سحق المكان واخضاع (المكانية) حتى الصراعات الفردية صارت اداة لفاعلية القوة والازاحة)[18]، ان

ما ذكره طاهر عبد مسلم يعد بمثابه خريطة ذات طلاسم للسينما التي يجهلها العديد وينغمس فيها اولئك المستهلكين دون الشعور بالثمن الذي سيدفع ازاء تلك المشاهدات للصور والافكار والتوجهات والموسيقى الحالمة.

لابد من ان ندرك ان السينما لم تكن تتوجه اعتباطاً في طرح طبيعة الموضوعات التي ترموا لها، فمنذ ان نشأت السينما في بريطانيا وامريكا وفرنسا وباقي الدول الأخرى كانت هناك توجهات ملموسة وصريحة في طرح الموضوعات، بل كان هناك من يقود لتلك التوجهات وما ذكره دافيد كوك في كتابه تاريخ السينما الروائية توثيق واضح على ما نذكر، حيث اشار الى ان العديد من الجمعيات واللوائح والمنظمات توجه السينما في فترة انتعاشها وتطورها ابان فترة العشرينات والثلاثينيات من القرن الفائت [١٩].

الكاتب جون هوارد لوسون في كتابه (الفيلم في معركة الأفكار) يؤكد ان السينما حتى في عصر التلفزيون هي أسير للتوجهات والدعاية الحكومية فهو يقول في كتابه (أنه جرى الاتفاق على وجوب الحكم على الفيلم بوصفه أداة للسياسة الخارجية وان الأفلام التي ترسل الى البلاد الأخرى لابد ان تخدم احتياجات الدعاية الحكومية وهو اتفاق ظل ساري حتى في عصر تفوق فيه التلفزيون على السينما في كم الإنتاج) [٢٠] .

ان كل التوجهات والميولات التي تتقدم بها السينما وفي أي بلد من بلدان العالم أي ليس امريكا فحسب انما هي من صميم الفلسفة الخاصة بالحكومات التي تحكم البلاد، فكل دولة من دول العالم لابد وان تمتلك فلسفة مستقلة في اعلامها، هذه الفلسفة هي التي توجه السينما لما ترتئي، السينما جزء من الإعلام ولابد ان تكون محط اهتمام القيادة ومحط اهتمام الإعلاميين، لذلك نرى ان اغلب البلدان تنتج افلامها وفق الرؤيا الخاصة بها، فأبسط البلدان في صناعة السينما تسعى جاهدة الى بلورة مفهوم اعلامي خاص بها لتحقيق مكاسب سياسية او اقتصادية او اجتماعية وفي اغلب الأحيان تكون المكاسب سياسية ولحدود بعيدة، ولعل البلدان العربية مثال مناسب

لذلك وتحديدا في العراق الذي انتج كم هائل من هذه الافلام والتي عبرّت عن فلسفة إعلام الدولة (حاكم الدولة) [٢١]، فعلى سبيل المثال انتج العراق افلام مثل (الأيام الطويلة - القادسية- المسألة الكبرى - الحدود الملتهبة- الاسوار...الخ) وهي مجموعة من الافلام التي عبرت عن فكر الدولة وسياستها ازاء الأوضاع التي تعيشها وذلك لأن هذه الأفلام انتجت أساسا لطرح موضوعات ذات توجهات سياسية، ففيلم القادسية تناول موضوع الصراع الفارسي تاريخياً وكأنه تمهيد لطبول حرب ستنشب بين إيران والعراق حيث أنفقت عليه الحكومة العراقية مبالغ خرافية بالمقارنة مع ما انفق من اموال بالدول المجاورة او بالأفلام القرينة، وهذا الفيلم انتج وصمم له قبل اندلاع الحرب مع إيران أي انه جاء ليمهد عما تفكر به الدولة من شن حرب على إيران والنتيجة ان الحرب وقعت بالفعل مع إيران أي ان هذا الفيلم عبر بشكل مباشر عن فلسفة دولة العراق (الحاكم) آنذاك واعرب جملة وتفصيل عن السياسة التي تتوجه بها حول القضايا والموضوعات ذات الأبعاد الاستراتيجية[٢٢]، اذن السينما تقود وتعبر وتوجه وتنبئ عن ما ترتئيه القيادات، لذلك فأن السينما الأمريكية بتوجهاتها تعد بمثابة النذير لكل ما ترتيئه من طروحات في تغيير وتوجيه وتصويب نحو الأهداف التي تتأملها في سياستها او فلسفتها الاعلامية، وهي ما اتضحت وبانت خلال الخمس سنوات الأخيرة حيث بزغت كل الأفكار وكل الأهداف للسياسة الرأسمالية التي تناشدها منذ سنوات عديدة مضت حيث تبلورت العولمة بالشكل الصريح وازدهرت الرأسمالية بأعلى وأسمى معانيها، فالراسمالية احتقنت نفسها لسنوات عديدة في كبت ظل يصارع حتى ارغم المقابل على الإعتراف بما تترجاه وتدعوه في التنحي عن كل التوجهات الأشتراكية السابقة، وهو ما أكد من قبل المختصين والمنظرين في هذا الجانب ففي كتاب (الضوء الكاذب في السينما الامريكية) لمؤلفه قاسم عبد الأمير عجام تأكيد لذلك عندما ذكر فيه (حين احتدم الصراع الأيديولوجي مع حركات التحرر والاشتراكية كان للسينما الامريكية اسهاماتها في ذلك الصراع بشكل خفي او مكشوف، ومن اجل ان

ترتبط السينما بالسياسة الامريكية كلياً، شنت لجنة الكونجرس للنشاط غير الامريكي التي عرفت بلجنة (مكارثي) حملة قاسية على ابرز فناني هوليود وكتابها ممن لا يؤيدون السياسة الامريكية او لمجرد انهم يختلفون مع خطة الحكومة للهيمنة على افلام وسياسة الانتاج في هوليود) [٢٣] .

أن اهم ما جاءت به الاعمال التي تعرض من على شاشات السينما او التلفزيون هي تلك التوجهات الامريكية المغيرة في المجتمعات، حيث استطاعت تلك التوجهات ان تخلق المزيد من الآثار السلوكية على المتلقين، وقد اكد العديد من المصادر على ان هذه الاعمال كثيرا ما ساقت العديد من الجتمعات نحو سلوكيات جديدة وخصوصا عند الاطفال الذين ينحرفون كثير بالبرامج والافلام (اتهمت التلفزة خلال النصف القرن الاخير بانها مروج للعنف والاجرام والانحراف، ووقعت بحوث عديدة ودراسات مختلفة وقالات بالاف حول هذا الموضوع المثير للجدل)[24] فهناك جملة من التغييرات حدثت عند المتلقين على اثر التلقي او على اثر التوجهات التي قدمتها السينما والتلفزيون، وهي ما حققت للسياسات الامريكية العديد من المكاسب التي تترجاها او ترمو لها، ومن بين جملة من التغييرات التي حققتها السينما هي النماذج البشرية، حيث استطاعت السينما الامريكية ان تخلق قطيع هائل من الانموذج البشري المستجيب لكل الطروحات والتوجهات الخاصة بها، ومع الإمعان في تلك التوجهات او الطروحات تبين ان اغلب توجهات العولمة او الرأسمالية والامبريالية الامريكية هي ذات التوجهات التي ناشدتها السينما، وحسب ما اشارت االدراسات السابقة في هذا المجال تظهر حالة العنف التي تبرز في السينما ظاهرة ملحة في العولمة، حيث بينت إحدى الدراسات الخاصة بالعولمة ان حالة العنف التي تظهر في السينما انما هي مظهر من مظاهر العولمة [٢٥].

أن العنف الذي تتضح معالمه في الفيلم الأمريكي او في الدراما التي تظهر على الفضائيات لم يكن قد برز او أتى من خلال حركة الممثل او الكادر او الموضوع بالعمل فحسب، بل انه أتى أيضا من

خلال الإيقاع الذي يبرز المزيد من المظاهر الجديدة التي تؤكد العنف وصيرورته في بلورة المزيد من التطلعات الجديدة التي يناشدها المنتجون لاعمالهم، فإيقاع الاعمال الدرامية لم يستقر بعد في السينما الأمريكية، حيث نرى ان هذا العنصر يتطور بشكل غير اعتيادي ازاء التقدم في الزمن او التعاقب في الاجيال، فمع تطور الاجيال وتطور الزمن ظهرت العديد من التقنيات الجديدة التي غالباً ما تعمل على تطوير الإيقاع من حيث توصيله الى نتيجة بالغة في العنف، وهذا الأمر في الواقع انعكس ايضاً على الأعمال غير الدرامية كالبرامج التربوية او العلمية او الرياضية او التنموية حيث اتخذت هذه البرامج من الإيقاع الجديد الذي تتحلى فيه الدراما الأمريكية نهج لتطوير إمكانياتها، فقد تزايدت اعداد البرامج غير الدرامية بهذا الأسلوب الذي يحمل إيقاع العنف في اظهار المفردات، حتى تركزت ثوابت في تقاليد العمل عند بعض المحطات الفضائية في انتهاج هذا الايقاع غير المستقر في بناء اساليب الطرح للعديد من البرامج التي تتعمد في بث جملة من الموضوعات والطروحات في وعاء خاص يمكن ان نطلق عليه صرّة تلفزيونية (Package)، ويمكن ان تكون هذه الصرة تقديمة(Promotion)، واستعراض سريع أو عنوان (Title) لبرنامج، وقد بدأت تتزايد وتتنوع يوم بعد يوم وبدأت تأخذ قوالب وأشكال متعددة من حيث الصورة والصوت حتى ان البعض منها بات من الثوابت أو المسلمات في عمل الفضائيات لدرجة ان تقوم تلك الفضائيات بقطع البرامج او الأعمال الدرامية وتظهر هذه الصرّات التلفزيونية الإعلانية.

ان الإمعان في هذه الأنواع من (الصرّات التلفزيونية) يؤكد ان هناك إصرار حتمي لكل القنوات تقريبا في تبني النموذج الحركي او الديناميكي لكل البرامج والأعمال التي تظهر في التلفزيون ، فهذه الصرّات التي هي عبارة عن مقدمة خاصة بالقناة أخذت تنمو نمواً سريعاً في أغلب القنوات وأخذت تتربع على عرش القنوات كونها الهوية للقناة التي تشتهر بها، فرغم انها متعددة ومتنوعة يلاحظ أنها تحمل أسلوب واضح ولفكرة واحدة في التعبير عن خصوصية القناة

التي تستعرضها، وهذه الصرّات في الواقع أصبحت ليس هوية فحسب بل انها أصبحت لازمة لكل الأوقات البرامجية حتى اعتمدت لتظهر في نشرة الأخبار في اغلب الأحيان، التأمل في هذه الصرّات يبوح الى تشكيل الحزمة المتناسقة عبر المؤشرات الصورية والصوتية، ومفاد هذه التأمل هو ان الإيقاع الذي يقود الصرّات يستند الى الزخم الكمي للقطات والتي تنطلق في نبض او دفق متواتر لتكون تلك اللقطات في النهاية ضمن وتيرة واحدة ذات لون وشكل واهداف صريحة للكشف عن ما يسعف الاستقطاب المؤثر، لذا كان لزاماً لهذه الصرّات ان تكون مكررة لتحقيق الهوية او الخصوصية للقناة ومن ثم تعرب عن الحداثة والتواكب لما يتميز به الأنموذج الحديث، وهو ما اتضح بالفعل في اغلب القنوات، حيث تداركت العديد من القنوات الفضائية هذه الحقيقة التي تعكس وجه القناة وخصوصيتها او هويتها، حتى صنعت لنفسها مجموعة خاصة بها من هذه النماذج لتواكب ما وصلت لها بعض القنوات، ومن ثم تكون تلك القنوات رافد للعنف عبر هذه الصرّات التلفزيونية سواء كان بقصد او بغير قصد.

ان عملية صنع الأفكار والتوجهات في الفيلم السينمائي اوالتلفزيون يتوقعها المتلقي غير المتخصص بأنها من قبيل الصدفة، او ان الموضوع الذي يتناوله الفيلم حالة معتادة ومن ضمن المجتمع الذي يحتوي كل شيء وان الموضوع خالي من أي انحياز او فبركة كما هو واضح وصريح وذلك لان المتلقي غير المتخصص لم يفهم او يدرك حتى الان الموئسات والحكومات التي تقف وراء الفلسفة التي تقود كل الاعمال والمنتجات السينمائية والتلفزيونية، فالمتلقي بريء وشفاف في اغلب الأحيان ويصدق بكل ما يظهر أمامه بل ويتعاطف معه، كونه يعتقد ان كل ما يظهر هو من مصدر موثوق وحيادي، الا ان الواقع هو غير ذلك تماما، فالأعمال او المنتجات السينمائية والتلفزيونية لم تكن بريئة ابدا، فهي على العكس تماما، كونها منحازة بشكل مباشر، وهناك الكثير من المصادر والعديد من المختصين يؤكدون يوم بعد يوم رهن الأعمال السينمائية للسياسات والتوجهات الخاصة بالجهة المنتجة، وهناك أمثلة كثيرة على ذلك

كالأفلام غير الحيادية او الأفلام الدعائية او الأفلام ذات الإعلانات المبطنة او الإعلانات الضمنية وغيرها من الأعمال غير البريئة، ولعل ما ذكره رؤوف توفيق في كتابه (سينما اليهود دموع وخناجر) تأكيد صريح على ذلك عندما قال (اذا كانت الصهيونية العالمية ، قد نجحت في فرض سيطرتها على العديد من المؤسسات الاقتصادية والصناعية والاعلامية في امريكا وأوربا.. فان قلاع الفن لم تنج من هذه السيطرة. بل على العكس كان من السهل غزوها عن طريق الأموال وشراء أهم مقومات صناعة السينما، من شركات الإنتاج والاستوديوهات والمعامل..إلى الكتاب والفنانين أيضا. من لا يستجيب كان عليه ان يتحمل البطالة والإفلاس والعزلة) [٢٦] .

ان ما ذكره الأستاذ رؤوف توفيق يعد مؤشر صريح وبليغ إزاء ما ترتئيه السينما في التوجه والفكر، فهنا تتضح كل حالة من تلك الحالات التي تم تناولها أو ذكرها حول البراءة المتوقعة في السينما بل هنا تتضح القساوة والعنف في الكواليس الخاصة بالسينما والتي هي أحوج ما تكون إلى الشفافية والرومانسية كونها تعتمد العواطف والأحاسيس التي تقود وتهيمن على العملين في الفن.

ان في الإصرار على العنف قسوة بالغة بالسينما على الإنسانية وتسويف لكل القيم البشرية النبيلة التي تدعو إلى الفضلية السامية عند الإنسان، والتي طالما نوشدت من قبل الكثير من المنظرين والفلاسفة وعلى رأسهم أفلاطون الذي ناشد الفضيلة في الإبداع، حيث ان السينما بتوجهها اللاإنساني ستكون بؤرة للانفلات الخلقي بعد ان كانت مركز للثقافة والمعرفة، والإصرار الذي يظهر في الفيلم السينمائي لتحقيق الكسب المادي المنبلج من الفكر الراسمالي سيقود الى تردي وانكسار لكل المثل العليا التي طلما بحثت في المراكز التربوية والمرجعيات العلمية في التخصصات الإنسانية أو الأدبية وخصوصا عند المثقفين الذين جاهدوا من اجل الإنسانية والحياة، فاغلب المثقفين والأدباء والفنانين قدموا أعمالهم الأدبية والفنية لتخاطب الحس الإنساني كأن تكون قصيدة شعرية عن الحب او الرومانسية او الجمال، بينما نجد ان السينما بدأت بنفس

الموضوعات الإنسانية ثم انحرفت عن ذلك التوجه لتميل نحو الإيديولوجيات او الأغراض اللاإنسانية متناولة العنف بأبشع صوره والذي ابعد المتلقين بل وحرفهم عن كل التوجهات الإنسانية وعن البراءة والمثل العليا، وهو ما أكده جون هوارد لوسون في كتابه السينما العملية الإبداعية حين قال (ان التوكيد على العنف في السينما الحديثة يؤدي الى تشويه تقنياتها والى تحديد لغتها. وتصبح لحظة القسوة الجسدية مركز الاهتمام، انها بمثابة البديل عن تأمل الدوافع والعلاقات الإنسانية، وهي تلقي ظلها على العناصر الأخرى في بناء الفيلم ، وتعوق صيغ التعبير الأكثر رقة وإنسانية) [٢٧] .

الفصل الثالث

طريقة التحليل :

سيقوم الباحث بتحليل العينة التي اختارها من خلال تحديد المواقف التي تشير الى العنف ،حيث سيكون الموقف الاساس في التحليل ذلك لان وحدة تحليل الباحث الموقف في العمل هو والمندرج من احداث العمل، وسيبين الباحث من خلال تحليله الذي سيكون نوعي لا كمي كل عناصر الشكل والمضمون في العمل التي تشكل العنف او تدعو له، وذلك من خلال تحديد انواع اللقطات والمشاهد التي تكّون الموقف في احداث العينة .

التحليل :

يعد فيلم (سيد الخواتم – عودة الملك) – (Lord of rings return of king) واحد من أهم الأعمال التي حققت شهرة وأرباح مادية ، وهذا الفيلم حقق نجاحا واستقطابا كبيرا ، لذا فان هذا العمل جدير بان يكون عينة للتحليل، في التحليل سنبين الأسباب والمواقف التي جعلت من حالة العنف أساس للعمل، حيث ان هذا العمل تناول الكثير من المشاهد والمواقف التي أعربت عن العنف، فهناك جملة من مشاهد المطاردة وجملة من مشاهد الحرب والقتال اندرجت ضمنيا في الفيلم، الأمر الذي جعل من العمل يستند للعنف في اغلب مشاهده، والفيلم كان قد تناول جملة من المعتقدات وجملة من الأفكار التي تعزز دور العنف أو القوة كأساس للحياة رغم أن الفيلم يعد من أفلام الفنتازيا التي غالبا ما تطغي فيه الجوانب العاطفية والجوانب الشاعرية اللطيفة والحساسة، لقد تناول موضوع العمل الصراع من اجل خرافة الخواتم، حيث تنازعت أقطاب الصراع فيه من اجل الخاتم السحري الذي ينقذ العالم من الكارثة الكونية، وتناول الصراع في طياته صراعات ثانوية متعددة، أهمها الصراعات الطاحنة المستمرة ما بين الجيوش العملاقة، وهذه الجيوش التي مثلت قطبين

قطب يميل إلى الحق وقطب أهدافه الشر، وقد استعرضت هذه الجيوش كل معاني العنف وأشكاله حيث استخدمت جملة من الأسلحة المدمرة واستخدمت كم من المعدات الحربية الثقيلة ناهيك عن استخدام الحيوانات الخرافية العملاقة التي تظهر بشاعة مقززة تطحن الإنسانية، من جانب آخر تناول هذا الفيلم افتراضات خطيرة للغاية في تحقيق رواية العمل الدرامي، ففي العمل مشاهد أشبه ما تكون مرعبة أو خرافية، حيث أبرزت هذه المشاهد واكدت على فكرة تسخير الموتى لصالح العمل الإنساني، فقد استعان بطل الفيلم الذي يمثل قطب الخير في صراع العمل، استعان بمقابر للموتى في تحقيق الانتصار على الجيش المعادي الذي يمثل قطب الشر في صراع الأحداث، وذلك من خلال تجييش الموتى وإقناعهم بالمشاركة في المعركة، حيث ظهرت إمكانات أولئك الموتى في حسم المعركة التي كادت ان تكون لصالح الجيش المعادي لو لا تدخلهم في إنقاذ المدينة المسالمة التي يحميها الجيش الذي يمثل الخير، وهذه الفكرة تدعو إلى أن تكون قوة الموتى قوة عنيفة لدحر كل الأعداء المخربين، وذلك من خلال تسخير الموتى وعدهم كقوة أو ثروة أساسية للحياة.

ان استعراض الخرافات في هذا العمل لا يمكن أن يكون مطلق إلى الحدود التي نصفها بهذا التجرد لتفصيل أحداث العمل، بل جاء هذا الاستعراض غاية في الانسيابية التي مهدت إلى أن تكون أحداث العمل في غاية من الواقعية أمام المتلقي الذي يشاهد العمل، فهذه المشاهد رغم انها افتراضات من قبل الصانع للأحداث، إلا انها استطاعت أن تخلق تأثير بالواقعية عند البعض من المتلقين خصوصا وان هناك جملة من الأفلام والكتب والروايات السابقة مهدت إلى هذا الافتراض بوجود هذه المعتقدات أو الخرافات، التي تتضح معالمها بشكل صريح ومباشر في هذا العمل والأعمال المماثلة المنتجة في نفس مدة إنتاج هذا العمل مثل أفلام (Harry potter) أو (Hannibal) و (under water) الخ.

ان المشاهد الدرامية في العمل اتخذت من الحركة العنيفة للكاميرا ومن حركة الممثل وقسوة التكوينات الصورية أساس في

تحقيق النجاح للعمل، حيث ان العمل شمل على جملة من التكوينات الصورية ذات الطابع الجمالي المتميز بالألوان البراقة والأشكال المثيرة والجماليات الحركية لعناصر المكونات الصورية، كظهور الغابات ذات الأشجار الناطقة أو المتحدثة أو ظهور العنكبوت الوحشي الذي قاتل بطل الفيلم وحنطه او ظهور الكرة السحرية او أشكال عديدة أخرى، وهذه الأشكال في الواقع بقدر ما هي مؤثرة ومثيرة للمشاهد أو المتلقي، بقدر ما تحمل من آثار وبصمات في المتلقي، فكل هذه الأشكال صبت بشكل أو بآخر نحو هدف أساس في العمل الدرامي وهو إبراز العنف، وهذه الأشكال الصورية التي انعكست من دراما الفيلم لاحظنا انها تؤمن بان اللغة التي يمكن ان تحقق الأهداف المنشودة هي لغة الحرب والقتال أو العنف، لدرجة ان الحوار لم يعد يوضح أي معالم للفيلم سوى لرواية فهم الأحداث الخاصة بالفيلم، بمعنى ان اللغة الحوارية المستندة إلى التفاهم والى الفضيلة لم يعد لها مكان في الحياة بل ان القوة هي الكفيل في تحقيق الأهداف، لذلك فأن العمل استعرض المزيد من القوى لإبراز العنف، فهناك الكثير من الأقطاب المتعاكسة أو المتضادة في العمل، وهذه الأقطاب لم تحسم غاياتها أو أهدافها الا عن طريق القتال والعنف، إذن هي دعوة للعنف في تحقيق الأهداف وهي دعوة في ذات الوقت إلى تجنب الحوار أو التفاهم لانه استغراق في الوقت وضياع للجهود والإمكانيات، وهذا ما أكده العمل في استعراض أحداثه التي استعرضت جملة من المواقف البشعة في قتل البشر وذبحهم وتعذيبهم، بل واستعراضت مواقف أخرى اشد قسوة وتصلب في تحقيق الانتصار من خلال العنف واستخدام السلاح، كذلك استعاض العمل بمجموعة من المؤثرات الصوتية العنيفة، حيث كان لأصوات الطيور العملاقة المتوحشة اثر بالغ القسوة في مشاهد الأحداث للعمل كذلك كان لأصوات الطبول والصرخات البشرية في المعارك والتعذيب دور صريح لخلق روح العنف في دائرة الأحداث ودائرة المتلقين الذين يتابعـــــون الأحداث، وهـــي ما شكلت فـــي النهاية مجتمعة صورة من صور البشاعة عند المتلقي، وبنوع من أنواع المتعة التي

يبحث عنها المتلقي في صالات العرض، حيث ان مثل هذه العروض بالأساس تعتمد على ما خلقت السينما من مشاهد للإثارة والإبهار، أي ان المتلقي كان قد اعتاد على مشاهدة مثل هكذا نوع من الإبهار والإثارة بأفلام سابقة، وقد ضل يناشد في السينما عن موضوعات تثيره وتبهره عند هذه الحدود التي تتواصل في الامتداد مع تطور التقنيات السينمائية وخدعها ومؤثراتها الصورية والصوتية، فتحاول هذه الأعمال بأي شكل من الأشكال ان تستعرض كلما هو جديد في إبراز مثل هذه الأنواع من الأشكال التي تثير المتلقي، لذلك كان في هذا العمل جهود حثيثة وواضحة لاستعراض كم من الحيوانات الجديدة المتوحشة واستعراض كم من الأنواع البشرية الغريبة، والواقع ان هذه الأنواع كانت قد تناولتها العديد من المصادر في إمكانياتها الواسعة في خلق التأثيرات المرئية بالمتلقي[28].

لقد تناول العمل العديد من الافتراضات التي كثيرا ما يبحث عنها المتلقي جراء الافتراضات التي اعتاد على مشاهدتها من أفلام سابقة، فالعمل استعراض نموذج للإنسان الحيوان الذي ظل مرافق لبطل الفيلم، وهذا الإنسان الحيوان كثيرا ما ظهر في العمل بنوعين من التوقع الأول هو الواقع الشرير والثاني المسكين رغم انه كثيرا ما عكس جوانب للغدر والعمل السيئ، أيضا احتوى هذا العمل على مواقف أخرى استعرضت بشكل صريح الدعوة للعنف والدعوة إلى اللجوء للقوة، ففي العمل جملة من الأسلحة والمعدات الحربية الطرازية التي غالبا ما ترجح الانتصار لطرف من أطراف الصراع، بحكم النتائج التي حققتها تلك الأسلحة الفتاكة، حيث ان العمل استعراض أسلحة المنجنيق التي عصفت بحشود الناس في المدينة من خلال مشهد القصف بالصخور الحجرية الأمر الذي اشعر المتلقي بالخيبة أمام هذا الجيش الذي استخدم هذا السلاح المدمر (المنجنيق العملاق)، وقد انعكس الموقف بنفس الوقت إزاء الموجهة من قبل أولئك المقاتلين حين تلقوا من جيش القلعة الذي يحمي المدينة وابل من النيران والصخور الحجرية الكبيرة ليشعر المتلقي بالارتياح و الموازنة من مواجهة الأعداء وردعهم، حيث ظهر هذا السلاح

الحاسم لكفة السيطرة والانتصار الذي تحقق من استخدام هذا السلاح، الذي كان قد ابرز نوع من المواجع للأعداء ونزع من الدفاع أو الانتصار، وذلك كي يتضح دور وأهمية السلاح في المعركة، والواقع ان هذا المشهد أوجد من قبل المخرج لخلق نوع من الموازنة لأحداث الصراع الناشب ما بين الجيشين لتحقيق التشويق لدى المتلقي وذلك من خلال استمرار حالة لا حسم للصراع الذي يدور، وهذا الأمر يمكن ان يكون شرعي ومناسب لو ان الأحداث التي ظهرت تمسكت بنوع من الحيادية في استخدام تلك الأسلحة والتحفظ على ظهور هذه الأنواع من البشاعة في القتل ابان استخدام تلك الأسلحة الشنيعة، حيث كان استخدام تلك الأسلحة صريح جدا لدرجة ان المتلقي بالإمكان ان يتمعن في آلية استخدام وتنفيذ تلك الأسلحة العنيفة للغاية، بل ان المشاهد مكنت للمشاهد في ان يستغرق بتلك الأسلحة للدرجة التي تجعل من المشاهدة دروس في تصنيع الأسلحة ان تطلب الأمر، العمل أيضا احتوى على مشاهد عنيفة من نوع مباشر للغاية وذلك بحرق جثث بشرية أمام الأعين، ومن ثم بيان عنف تلك الحالة التي برزت بشكل مباشر أمام المتلقي.

العمل كان قد تناول العنف صراحتا في العديد من المواقف فهناك مشاهد عبرت عن التفريط بالموت أو القتل من خلال طحن كم هائل من البشر بالآلية الحربية، والتي أوضحت تفاصيل دقيقة للمتلقي في ان يشاهد الإنسان وهو يدهس بعجلات حربية عملاقة أو يدهس بأقدام فيل عملاق، هذه التفاصيل بالواقع يسرت من مشاهدة أفلام الرعب التي كانت قاصرة على الكبار، وجعلت من مشاهدة الأفلام المرعبة أمرا اعتياديا ولكل الناس، فصحيح ان الأحداث لا توحي بالرعب كون ان طبيعة الموسيقى والجو العام لاتشير الى ذلك، الا ان الصورة تعلن وبشكل صريح إلى حالة الرعب والإبهار والهلع، الأمر الذي يسهل وييسر من مشاهدة أفلام مماثلة حتى وان تكون مصنفة من ضمن قوائم أفلام الرعب، كذلك هناك بشاعة في المشاهد لدرجات بالغة، وذلك من خلال رمي الجنود من مرتفعات شاهقة، ففي الفيلم مشهد للطيور المتوحشة العملاقة التي تمسك بالجنود وتطير بهم إلى

مرتفعات عالية لترميهم على الأرض، هذه المشاهد بالواقع تزامنت مع مؤثرات صوتية مذهلة من حيث الاستخدام ومن حيث الكم، فالمؤثرات الصوتية تزامنت بأغلب المشاهد مع البشاعة التي برزت من الصورة التي تظهر أمام المتلقي والتي غالبا ما تكون غاية في الشدة والإثارة.

لقد شمل العمل ((Lord of rings – return of king)) جملة من المواقف التي أعربت عن العنف بكل أشكاله وأنواعه ، فهو مليء بالمشاهد المثيرة للعنف والعنيفة في ذات الوقت، على الرغم من ان العمل يحمل من الشدة والإثارة في موضوعه لمتابعة أحداثه، الا انه غالبا ما تمتع بدعوات عديدة إلى تبني حالة العنف كجزء أساس من الفكرة التي يعتمد عليها في احتواء مضمون الفيلم، فمشاهد الفيلم التي ظهرت بالعمل كانت في تأكيد مباشر على حالة الحرب والقوة والشدة في تسيير الحياة وذلك من خلال افتراض حالة العدو وحالة لا سلام المستمرة بين الشعوب ، فهناك دعوة صريحة إلى وجود حالات الثار والعداء المستمر، وكأن العالم خالي من أي سلام على الإطلاق، حيث لم يظهر العمل أي نوع من أنواع المصالحة أو السلام أو التعقل في حسم الآمر الحرجة ، بل كان هناك إصرار إلى التحالف والتصارع والقتال لدحر كل المعادين الذين هم بالأساس وليدي الافتراض لا الحقيقة.

النتائج :

من خلال التحليل الذي اجراه الباحث تبين ان العمل ((Lord of rings – return of king)) قد تضمن كما هائلا من المواقف او المشاهد التي اعربت بشكل صريح عن العنف، حيث شمل العمل على مجموعة كبيرة من المواقف التي كشفت عن حالات العنف وكشفت ايضا عن التوجهات التي تدعو للعنف، حيث تبنى العمل العديد من الحالات التي ترّغب المتلقي بالتوجه للعنف، كذلك بين العمل اهمية العنف والقوة وذلك من خلال محتواه العام والمنبلج من الاشكال التي استعرضها في احشاء الاحداث، حيث كان في العمل تاكيد صريح على اهمية القوة العسكرية او القوة العنيفة في حسم المواقف، وكان العمل قد ابتعد كل البعد عن التوافق او الحسم عن طريق التفاهم او عن طريق السلم بل جعل طريق العنف والحروب هو الخيار الوحيد وهو ما يعزز دور العنف ويؤكده .

ان العمل الذي قام بتحليله الباحث يمثل نموذجا للاعمال التي تطغي على العروض او البرامج التي تظهر من على شاشات القنوات الفضائية ، فهناك كم هائل من الاعمال المشابهة لهذا العمل قد عرضت كثيرا من على القنوات الفضائية العربية والتي كثيرا ما تكون قريبة من حيث الشكل والمضمون لطبيعة العمل الذي قام بتحليله الباحث، لذا فان الباحث هنا يكر ر ويشدد في ذات الوقت على النوعية للاعمال التي تظهر من على شاشات القنوات العربية والتي يمكن السيطرة عليها من خلال الاخذ بالتوصيات التي اوصى بها الباحث ادناه .

التوصيات :

يؤكد الباحث على ضرورة الاخذ بالاعتبار الدور الذي تحققه السينما في تغيير الشعوب، لذا يوصي الباحث بما ياتي :

١- تجنب عرض الاعمال التي تؤكد العنف من على شاشات التلفزيون كونها تؤكد وتمهد للعنف ، وذلك من خلال فحص ورقابة الاعمال التي تعرض من على شاشات التلفزيون العربية .

٢- الكشف عن المخاطر التي تسببها التوجهات الرامية للعنف ، من خلال توعية المتلقين بالاعمال الوافدة من القنوات الامريكية والاوربية والقنوات غير العربية الاخرى والتي تمهد للافكار والتوجهات الغربية وتهمش في ذات الوقت كل القيم والتوجهات التي تدعو للتحاور الانساني وللسلام .

٣- التاكيد على ضرورة الانتاج العربي المعزز بالقيم والافكار العربية الخالصة ذات التوجهات الصحيحة ،وذلك لمنافسة الانتاج الغربي الغزير .

٤- التفكير بايجاد بدائل عن الموضوعات العنيفة التي غالبا ما يرغبها المتلقي ، وذلك بتاسيس مركز علمي متخصص بدراسات العنف في وسائل الاعلام ، ويقوم هذا المركز باقامة دراسات واستطلاعات دورية لظاهرة العنف .

المصادر

١. أسيل عبد اللطيف- العنف وبرامج الأطفال التلفزيونية ، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الأعلام ، جامعة بغداد، ٢٠٠٢، .

٢. ابن منظور -لسان العرب، بيروت، بيروت للطباعة والنشر، ١٩٥٦م.

٣. احمد كامل مرسي ومجدي وهبة - معجم الفن السينمائي ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣ .

٤. جورج طربيشي ، اصل العولمة ، موضوع نشر في جريدة - الأهرام في ١٩٩٧/٦/٢٣ .

٥. جون هوارد لوسون- الفيلم في معركة الأفكار، ترجمة: سعد نديم، دار الكتاب العربي، ب ت .

٦. حسين كامل بهاء الدين - الوطنية في عالم بلا هوية. الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ٢٠٠٠ .

٧. دافيد كوك- تاريخ السينما الروائية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩، .

٨. عبد الباسط سلمان، مظاهر العولمة في البث الفضائي العربي- رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الفنون الجميلة- جامعة بغداد- ٢٠٠٢م .

٩. عبد الباسط سلمان، التشويق ورؤيا الإخراجفي الدراما السينمائية والتلفزيونية ، القاهرة ، الدار الثقافية للنشر ٢٠٠١ م.

١٠. قاسم عبد الأمير عجام- الضوء الكاذب في السينما الأمريكية، بغداد-دار الشؤون الثقافية ٢٠٠١م .

١١. طارق الجبوري - سينما الخيال العلمي ،سلسلة كتابات سينمائية، دمشق،منشورات وزارة الثقافة،المؤسسة العامة للسينما،٢٠٠٠.

١٢. طاهر عبد مسلم - السينما العراقية والأدب، موضوع منشور في جريد الفنون الصادرة من المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب-الكويت،كانون الثاني ٢٠٠٤ م.

١٣. طاهر عبد مسلم – عبقرية الصورة والمكان ،عمان ، دار الشروق للنشر والتوزيع ٢٠٠٢

١٤. محمد بن أبي بكر الرازي- المختار الصحاح- بيروت، دار الكتاب العربي، ، ب ت .

١٥. مصطفى محرم – السينما والفنون، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠١م. .

١٦. نبيل علي ، تحديات عصر المعلومات – الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، ٢٠٠٣م.

١٧. هادي نعمان الهيتي، تعرف الشباب المراهقين لأفلام العنف في التلفزيون والسينما والفيديو وعلاقته بالإجرام، مجلة الطفولة، بغداد، الجمعية العراقية لدعم الطفولة، عدد(١)، ١٩٩٤م .

١٨. يوجين فال- فن كتابة السيناريو، ترجمة: مصفى محرم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦م .

١٩. فتحي التورزي – المضامين التلفزيونية الموجهة الى الاطفال ومسالة العنف والانحراف، مجلة الاذاعات العربية تونس عدد١- سنة ٢٠٠٢ .

20.AmericanAcademyofpediatrics,Chaildren.AdolescentsAnd Television.I.n. pediatrics,Vol .107Feb. 2001. P.423 - 426.

(١) نبيل علي – تحديات عصر المعلومات،القاهرة ،الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠٠٣ م ، ص٢٤٣ .
(٢) مصطفى محرم – السينما والفنون، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠١ص١١٩
(٣) احمد كامل مرسي ومجدي وهبة – معجم الفن السينمائي ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣ ص٣٦٨ .
(٤) محمد بن أبي بكر الرازي– المختار الصحاح– بيروت، دار الكتاب العربي، ص٤٥٨، ب ت.
(٥) ابن منظور –لسان العرب، بيروت، بيروت للطباعة والنشر، ص٢٥، ١٩٥٦م.
(٦) هادي نعمان الهيتي، تعرف الشباب المراهقين لأفلام العنف في التلفزيون والسينما والفيديو وعلاقته بالإجرام، مجلة الطفولة، بغداد، الجمعية العراقية لدعم الطفولة، عدد(١)، ١٩٩٤، ص١٨.
(٧) أسيل عبد اللطيف– العنف وبرامج الاطفال التلفزيونية ، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الاعلام ، جامعة بغداد، ٢٠٠٢، ص٧٤.
(٨) حسين كامل بهاء الدين – الوطنية في عالم بلا هوية، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ٢٠٠٠، ص٨٢.
(٩) المصدر نفسه، ص١٥٠.
(١٠) نبيل علي ، تحديات عصر المعلومات – الهيئة المصرية العامة للكتاب– القاهرة، ٢٠٠٣، ص٢٤٣.
(١١) المصدر نفسه ص٢٤٢.
(١٢) جورج طربيشي ، اصل العولمة ، موضوع نشر في جريدة – الأهرام في ١٩٩٧/٦/٢٣.
(١٣) عبد الباسط سلمان – مظاهر العولمة في البث الفضائي العربي– رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الفنون الجميلة – جامعة بغداد– ٢٠٠٢م، ص٣٦.
14 Amerian Academy of pediatrics , Chaildren.AdolescentsAnd Television.I.n. pediatrics,Vol .107Feb. 2001. P.423 - 426 .
(١٥) انظر :أسيل عبد اللطيف – العنف وبرامج الأطفال التلفزيونية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الإعلام ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٢.
(١٦) عبدالباسط سلمان ، التشويق ورؤيا الاخراج ، القاهرة ، الدار الثقافية للنشر ٢٠٠١ص١٢٠ .
(١٧) يوجين فال– فن كتابة السيناريو، ترجمة: مصفى محرم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦، ص١٥٤.
18 طاهر عبد مسلم – عبقرية الصورة والمكان ،عمان ، دار الشروق للنشر والتوزيع ٢٠٠٢ ص١٨٢ .

(١٩) أنظر: دافيد كوك - تاريخ السينما الروائية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٩، ص٢٧٥.

(٢٠) جون هوارد لوسون- الفيلم في معركة الافكار، ترجمة: سعد نديم، دار الكتاب العربي، ب ت، ص١٢٠.

(٢١) (استخدمت السينما في العراق كأداة سياسية خاصة ، ذلك لتحقيق مارب شخصية خاصة بحاكم الدولة وليس لتحقيق الاستراتيجيات التي تنفع المجتمع العراقي وإعلامه ، حيث ان افكار وتوجهات الحاكم للعراق كانت على ما تبدو مسيرة من قبل جهة خارجية ، والدليل على ذلك هو ما حدث بالعراق بعد الاحتلال ، حيث ظهرت العديد من المؤشرات التي تؤكد بان الحرب التي نشبت كانت مقصودة من قبل الحاكم وما تلت الحرب من أحداث هي مفبركة ومتفق عليها مسبقا ، حتى دخول الاحتلال)

(٢٢) انظر طاهر عبد مسلم - السينما العراقية والأدب، موضوع منشور في جريد الفنون الصادرة من المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت ،كانون الثاني ٢٠٠٤ ص ٥٨-٥٩ .

(٢٣) قاسم عبدالأمير عجام - الضوء الكاذب في السينما الأمريكية،بغداد-دار الشؤون الثقافية ٢٠٠١م، ص٣٨.

(24) فتحي التورزي - المضامين التلفزيونية الموجهة الى الاطفال ومسالة العنف والانحراف، مجلة الاذاعات العربية تونس عدد١-سنة ٢٠٠٢ ص١٠٤ .

(٢٥) عبد الباسط سلمان- مظاهر العولمة في البث الفضائي العربي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الفنون الجميلة ، جامعة بغداد، ٢٠٠٢.

٢٦ رؤوف توفيق -سينما اليهود دموع وخناجر،القاهرة ، الهيئاة المصرية العامة للكتاب ،٢٠٠٢ص٨

(٢٧) جون هوارد لوسون - السينما الإبداعية العملية ، ترجمة علي ضياء الدين ،بغداد ، دار الشؤون الثقافية ،٢٠٠٢ ، ص٣١٢ .

28 طارق الجبوري - سينما الخيال العلمي ، سلسلة كتابات سينمائية ، دمشق ، منشورات وزارة الثقافة - المؤسسة العامة للسينما ،٢٠٠٠ .